**البداوة .. الخ من كتابي: تنبيه العقلاء..**

**الموضع الثالث والثلاثون**:

قال الجزائري (في تفسيره: 4/92): عند قوله - تعالى - الآية: (57)، في سورة غافر: لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، قال في معنى الآيات: **"**لخلق السموات والأرض ابتداء من غير مثال سابق، ولا مادة قائمة موجودة أكبر من خلق الناس مرة أخرى بعد خلقهم المرة الأولى، ولكن أكثر الناس لا يعلمون هذه الحقائق العلمية؛ لجهلهم وبعدهم عن العقليات؛ لما عليهم من طابع البداوة"!!، وقال في هداية الآيات:"تقرير عقيدة البعث بالبرهان العقلي، وهو أن البدء أصعب من الإعادة، ومن أبدأ أعاد، ولا تعب ولا نصب"!!.

قلت: **أولاً**: قوله: "لجهلهم وبعدهم عن العقليات" خطأ في تأدية المعنى المراد في تفسير الآية الكريمة، ولم يذكره أحد من أهل العلم من المفسرين، وهو يظن أنه قد أتى بما لم يقدر عليه الأوائل:

وإني وإن كنت الأخير زامنه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل.

والنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن الذي أنزل عليه وعهد الله إليه ببيانه بقوله - تعالى -: وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم لم يأتيا بما ينبو عن عقولهم، فلا يحتاج معه إلى غيره في إقامة الحجة عليهم.

**ثانياً**: قوله: "لما عليهم من طابع البداوة" يفهم منه أن قريشاً الذين منهم النبي صلى الله عليه وسلم ونزل فيهم القرآن الكريم بادية، وهذا باطل، بل هو من أبطل الباطل، وهو عام ويشمل النبي وقد رد العلماء على من قال عن النبي: إنه بدوي؛ لأنه استرضع في بني سعد في هوازن من بادية الطائف.

وممن رد على مثل هذا القول: العلامة حمود بن عبد الله التويجري، وأخوه العلامة عبد الرحمن بن عبد الله بن حمود التويجري، والعلامة بكر أبو زيد.

قال الشيخ بكر - رحمه الله - (في معجم المناهي اللفظية: 496): "ووصْفُ النبي صلى الله عليه وسلم بأنه بدوي مُناقضةٌ للقرآن الكريم، فهو صلى الله عليه وسلم من حاضرة العرب لا من باديتها، قال الله - تعالى - : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى، وما يزال انعدام التوفيق يغْشى من في قلوبهم دخن، ففي العقد التاسع بعد الثلاثمائة والألف نشر أحد الكاتبين من البادية الدارسين مقالاً صرَّح فيه بأن النبي صلى الله عليه وسلم من البادية، وقد ردَّ عليه الشيخ حمود بن عبدالله التويجري النجدي برسالة سمَّاها: "منشور الصواب في الرد على من زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم من الأعراب".

قلت: وقد وهم الشيخ بكر - أو سبق قلم أو تشابه الاسم والنسبة أو نقله عن واسطة - بنسبة (منشور الصواب..) إلى الشيخ حمود، وهو رد في القضية، ولكنه لـ (عبد الرحمن)، ورسالة الشيخ حمود سماها (الانتصار على من أزرى بالنبي والمهاجرين والأنصار).

ومما فيها تقديم سماحة مفتي عام المملكة محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - ونصه: "اطلعت على هذه النبذة التي كتبها الشيخ الفاضل (حمود بن عبدالله التويجري) رداً على (عبدالله السعد) حول قوله عن الرسول صلى الله عليه وسلم إنه بدوي فوجدته قد أجاد وأفاد، وأبرز من الذب عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ينبغي أن يطلب منه ويراد، فجزاه الله خيراً ونظمنا وإياه في سلك المجاهدين في سبيله والذابين عن رسوله صلى الله عليه وسلم وعن شريعته..".

قاله الفقير إلى عفو الله محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.22/5/1385هـ.

الختم

محمد بن إبراهيم آل الشيخ

ومما قاله الشيخ حمود - رحمه الله - في رسالته: "أما بعد: فقد رأيت مقالاً لـ(عبدالله السعد) نشر في جريدة البلاد عدد: 1993، وتاريخ: 28 ربيع الثاني سنة: 1385هـ، زعم فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم بدوي، وأن الخلفاء الراشدين والصحابة قوم من البدو، وهذا خطأ ظاهر وغلط فاحش، وقول باطل معلوم البطلان بالضرورة عند كل عاقل شم أدنى رائحة من العلم.

ولا يصدر هذا القول عن رجل يعلم ما يقول؛ إذ من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد في مكة ونشأ بها إلى أن تم له ثلاث وخمسون سنة، ثم هاجر من مكة إلى المدينة وتوفي بها صلوات الله وسلامه عليه فهو حضري لا بدوي، وكذلك الخلفاء الراشدون، وغيرهم من المهاجرين: من قريش فإنهم كانوا من أهل مكة، ثم تحولوا منها إلى المدينة، ثم تفرقوا بعد ذلك في الأمصار، فهم من الحضر لا من البدو، وكذلك الأنصار فإنهم كانوا في المدينة، ثم تفرقوا بعد ذلك في الأمصار، فهم من الحضر لا من البدو.

وسائر الصحابة على قسمين:

حاضرة وهم سكان المدن والقرى.

وأعراب وهم سكان البادية.

وقد هاجر كثير من الأعراب وسكنوا القرى فكانوا من الحضر لا من البدو.

وبالجملة فكل من كان ساكناً في مدينة أو قرية فهو حضري، ومن كان مقيماً في البرية فهو بدوي، وقد نص أهل اللغة على هذا.

قال الجوهري: (الحضر خلاف البدو).

وقال - أيضاً -: (والحاضر خلاف البادي، والحاضرة خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف، والبادية خلاف ذلك يقال: فلان من أهل الحاضرة، وفلان من أهل البادية، وفلان حضري، وفلان بدوي).

وقال - أيضاً -: (والبدو البادية، والنسبة إليها بدوي، وفي الحديث: «من بدا جفا» أي: من نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب، والبداوة الإقامة بالبادية، وهو خلاف الحضارة، وتبدى الرجل أقام بالبادية، وتبادى تشبه بأهل البادية).

وقال ابن الأثير: (الحاضر المقيم في المدن والقرى والبادي المقيم بالبادية)،وكذا قال ابن منظور وغيره من أهل اللغة.

وهذا شيء معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم من حاضرة وبادية أن من كان ساكناً في مدينة أو قرية فهو حضري. ومن كان مقيماً في البرية فهو بدوي.

وأما كونه صلى الله عليه وسلم رضع من حليمة السعدية وهي بدوية وأقام عندها سنتين وشهرين أو ثلاثة أشهر في البرية فلا يلزم من هذا الرضاع وهذه الإقامة القصيرة أن يكون بدوياً فيما بعد ذلك، وعكس هذا لو أن صبياً من أهل البادية ارتضع من امرأة حضرية وأقام عندها مدة ثم تحول إلى البادية واستمر بها فهو معدود من البدو لا من الحضر ولا عبرة برضاعه وإقامته عند المرضعة مدة قصيرة.

ومثل هذا من خرج إلى البادية لطلب علم أو مال ثم رجع إلى الحاضرة فهو معدود من الحضر لا من البدو، وقد خرج الأصمعي والأزهري وغيرهما من أهل اللغة والأدب إلى البادية وأقاموا بها مدة ثم رجعوا إلى الحاضرة، ولم يقل أحد من أهل العلم أن الأصمعي والأزهري كانا بدويين من أجل خروجهما إلى البادية لطلب اللغة والأدب، وقد قال الله - تعالى -: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى.

قال ابن كثير في تفسيره: (المراد بالقرى المدن، لا أنهم من أهل البوادي الذين هم من أجفى الناس طبعاً وأخلاقاً، وهذا هو المعهود المعروف أن أهل المدن أرق طباعاً وألطف من أهل سوادهم، وأهل الريف والسواد أقرب حالاً من الذين يسكنون في البوادي؛ ولهذا قال - تعالى -: الأعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا الآية).

وقال قتادة في قوله: (من أهل القرى؛ لأنهم أعلم وأحلم من أهل العمود).

وقال - تعالى -: وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا، وقال - تعالى -: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ وفي هاتين الآيتين دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حضرياً لا بدوياً.

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً كان يهدي للنبي صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية فيجهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج فقال النبي: «إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه» الحديث، وإسناده صحيح على شرط الشيخين، وقد رواه الترمذي في الشمائل عن إسحاق بن منصور عن عبد الرزاق به، وإسناده صحيح على شرط الشيخين، ورواه - أيضاً - أبو يعلى والبزار وغيرهما.

وروى البزار - أيضاً - والطبراني عن سالم بن أبي الجعد عن رجل من أشجع يقال له زاهر بن حرام الأشجعي، رجل بدوي وكان لا يزال يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بطرفة أو هدية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكل حاضر بادية وبادية آل محمد زاهر بن حرام» قال الهيثمي رجاله موثقون.

وفي هذين الحديثين دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حضرياً ولم يكن بدوياً، وهذا شيء معلوم بالضرورة ومقطوع به عند كل عاقل، ومثله لا يحتاج إلى دليل؛ لأنه أوضح من الشمس في رابعة النهار والأمر فيه كما قيل:

وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وإنما سقت الدليل من الكتاب والسنة ليعلم ما في مقال عبدالله السعد من مخالفة الكتاب والسنة مع مخالفته - أيضاً - للغة العرب, ولما هو معلوم بالضرورة عند كل عاقل، ولا يخفى ما في مقال عبدالله السعد من الإزراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين، وسائر المهاجرين والأنصار، والغض منهم؛ لأن البداوة صفة نقص بالنسبة إلى الحضارة، ولهذا ما بعث الله نبياً إلا من أهل القرى ولم يبعث نبيًا من البادية.

قال الله - تعالى -: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى، وقال - تعالى -: وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا.

إلى أن قال - وقد ذكر ضمنه طرفاً مما تقدم -: "وقبل الختام نسأل عبدالله السعد ماذا يقول في سكان مكة والمدينة الآن؟، هل يقول إنهم من البدو أو من الحضر؟، فإن قال إنهم من البدو فكل عاقل يكذبه في ذلك ويضحك من قوله، وإن قال: إنهم من الحضر طولب بالفرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبين أهل هذه الأزمان، ولن يجد إلى الفرق - الصحيح - سبيلاً البتة؛ لأن الجميع من سكان المدن والقرى ومن كان ساكناً في المدن والقرى فهو حضري لا بدوي - كما تقدم تقريره - وإذا كان الجميع من سكان المدن والقرى، فما هو السبب الذي دعا عبدالله السعد إلى أن يخص النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالبداوة دون أهل هذه الأزمان؟، مع أن الجميع على حد سواء لا سبب لذلك إلا اتباع ملاحدة الإفرنج من المبشرين وغيرهم وتقليدهم في قولهم: إن النبي محمداً صلى عليه وسلم بدوي، وإن أصحابه قوم من البدو، ومرادهم بذلك الإزراء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والغض منهم.

فإن كنت لاتدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

والقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا بدواً يلزم منه أن يكون سكان القرى وأهل البادية سواء في صفة البداوة، وهذا خلاف لغة العرب.

وقد زعم عبدالله السعد أن البدو من بني سعد كانوا يلقنون النبي صلى الله عليه وسلم لغتهم السليمة الفصيحة ويدربونه على الحياة البدوية البسيطة. وهذا خطأ فإن النبي صلى الله عليه وسلم ما أقام عند بني سعد إلا مدة الرضاع وزيادة شهرين أو ثلاثة ذكره ابن إسحاق وغيره، وهذه السن لا يمكن الصبي أن يتلقن فيها اللغة الفصيحة والحياة البدوية، فإن الغالب أن الصبي لا يتلقن إلا إذا بلغ سبع سنين فما فوقها.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم عند أمه آمنة بنت وهب منذ بلغ سنتين وشهرين أو ثلاثة أشهر، وماتت أمه وله من العمر ست سنين فكفله جده عبد المطلب ومات وله من العمر ثمان سنين، ثم كفله عمه أبو طالب إلى أن بلغ فكان يتلقن اللغة السليمة الفصيحة والشيم العربية من جده وأعمامه وغيرهم من قريش، ولغة قريش هي أفصح اللغات وبها نزل القرآن وقد قال الله - تعالى -: بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ.

وليس الأمر كما زعمه عبدالله السعد من أن لغة البدو هي اللغة السليمة الفصيحة.

وزعم عبدالله السعد - أيضاً - أن سكان الجزيرة العربية قوم من البادية، وهذا خطأ؛ فإن سكان الجزيرة العربية من زمن الجاهلية إلى زماننا هذا على قسمين.

حاضرة وهم من أهل القرى.

وبادية وهم سكان البوادي.

فمن الحاضرة أهل مكة والمدينة والطائف وخيبر ووادي القرى واليمامة وهجر والبحرين وصنعاء ونجران وغيرها من القرى الكثيرة، وأهل مكة معدودون من الحاضرة منذ بنيت مكة في زمان إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام إلى زمننا هذا".

قلت: فهو صلى الله عليه وسلم من أهل القرى وأرسل في أهل القرى والرسل جميعاً من أهل القرى وأرسلوا إلى أهل القرى، ودعوة نبينا للإنس والجن عامة: قرويهم وبدويهم.

وقال الشيخ عبد الرحمن - رحمه - (في رسالته: منشور الصواب..) - وهو من نص المقال المردود عليه -: "فقد رأيت مقالاً لـ(عبد الله السعد) نشر في جريدة البلاد، بعدد: 1993، وتاريخ: 28/4/1385هـ، تحت عنوان (هذا المجتمع الأصيل) قال فيه: "(محمد الأمين صلى الله عليه وسلم بدوي من قريش ولد بمكة وتربى في البادية ترضعه وتحضنه حليمة السعدية البدوية، ويلقنه قومها البدو لغتهم السليمة الفصيحة، ويربونه على الحياة البدوية الصافية، يمقت المستهجن من عاداتهم)، إلى أن قال: (وخلفه في المهمة العظيمة قوم من البدو، وهم صحابته الأبرار وخلفاؤه الأطهار)، إلى أن قال: (وسكان الجزيرة العربية قوم من البادية امتلك الأرض بعضهم فسمي حضرياً، والبعض الآخر ما يزال يذرع الأرض طولاً وعرضاً؛ فبقي بدوياً اسماً ومعنى)،هذا كلامه".

ثم علق على المقال قائلاً: "وأقول لقد قرأت هذا المقال وطال عجبي من هذه الجراءة على المقام النبوي والجناب المصطفوي، وعلى خير خلق الله بعد الأنبياء وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه لمقال يفرح به أعداء الإسلام ويشمئز عند سماعه كل مؤمن"، وبعد أن ذكر أن ذلك من فعل الكفرة ومن نحا نحوهم قال: "ولا أظن أن أحداً من المسلمين سبق هذا الكاتب إلى هذا القول فإن القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه وأفاضل أصحابه من الحضر لا أظن أنه يشك فيه من المسلمين إنسان، ولا يختلف فيه منهم اثنان، اللهم إلا من يقلد الإفرنج ويتلقى أقوالهم الفاسدة بالقبول".

وبعد أن بين وذكر أدلة من الكتاب والسنة على تفضيل الحاضرة على البادية وأجاد فأفاد، أضاف بقوله: "وهذا الكاتب يجعل النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه وأفاضل أصحابه من المفضولين - سبحانك يا رب هذا بهتان عظيم -، وأما قول الكاتب إن النبي صلى الله عليه وسلم تربى في البادية ترضعه وتحضنه حليمة السعدية، فالجواب عن هذا أن ارتضاعه صلى الله عليه وسلم من حليمة لا يصيره بدوياً، كما لا يصير البدوي المرتضع من حضرية حضرياً، والنبي صلى الله عليه وسلم ما مكث عند حليمة سوى سنيتين وشهرين أو ثلاثة أشهر: على المشهور، ثم قدمت به حليمة إلى أمه آمنه، وبعد وفاة أمه كفله جده عبد المطلب، ثم لما توفي جده كفله عمه أبو طالب، ومكثه عند حليمة المدة قصيرة وهو طفل صغير لا يصدق عليه أنه تربي في البادية، بل تربى المدة الكثيرة عند جده وعمه أبي طالب بمكة.

وأما قوله ويلقنه قومها البدو لغتهم السليمة الفصيحة فالجواب: أن يقال لا شك أن لغة هوازن من أفصح لغات العرب، ولكن لا يلزم من ذلك تفضيلها على لغة قريش، كما يظهر من كلام الكاتب، وهو خطأ ظاهر؛ فإن لغة قريش أفصح لغات العرب وبها نزل القرآن قال الله - تعالى -: بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: (بلسان قريش ليفهموا ما فيه).

ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم ما مكث عند بني سعد إلا مدة يسيرة وهو طفل صغير، ثم كان مكثه صلى الله عليه وسلم بمكة أكثر من خمسين سنة، وقد تلقن اللغة الصحيحة الفصيحة من عشيرته قريش.

وأما قوله يمقت المستهجن من عاداتهم فهذا إن ورد به الحديث وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد من أصحابه رضوان الله عليهم فعلى الرأس والعين؛ لأنه من الخوارق والمعجزات: أن يمقت ويستهجن الأمور القبيحة من له سنتان أو ثلاث سنين، ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم أعظم من ذلك، ولكني لم أقف على شيء من ذلك سوى ما أتى به الكاتب من كيسه، وما أتى به الكاتب أو غيره من أكياسهم فمضروب به عرض الحائط ، وإذا لم يرد بذلك الحديث فهو من التخرص والقول بغير علم.

وأما إطلاق البداوة على جميع الصحابة رضي الله عنهم فهو من نمط ما قبله من الخطأ الواضح والجهل الفاضح؛ فإن أفاضل الصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم حضر لا بدو، وكذلك من غير المهاجرين والأنصار كالطلقاء وغيرهم من سكان القرى ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به ومات على ذلك، وأما الأعراب الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يهاجروا فيصح إطلاق البداوة عليهم، ويقال للكاتب ما تقول في قول الله - تعالى -: يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ والسياق في منافقي أهل المدينة يوم الأحزاب كيف يودون أنهم بادون؟ في الأعراب وهم أعراب عندك.

وأيضاً فقد قال الله - تعالى -: وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ، فلو كان الصحابة رضي الله عنهم كلهم بدو كما زعمت ذلك لم يذكر منافقي الأعراب ومنافقي أهل المدينة، بل يكفي ذكر الأعراب فقط؛ لأن الكل أعراب عندك، وأيضاً فقد قال - تعالى -:مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ، وقال - تعالى -: سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا الآية، وفي الآية الأخرى: قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ الآية، وقال - تعالى -: الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا الآية، يعني أشد كفراً ونفاقاً من أهل القرى، وقال - تعالى -: وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا الآية، وقال - تعالى -:وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِالآية،وقال - تعالى -: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا فلو كان جميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أعراباً كما زعمت ذلك لما كان لتخصيص الأعراب بالذكر فائدة في هذه الآيات؛ لأن الكل أعراب على حد قولك.

ويقال للكاتب - أيضاً - ما قولك في المهاجرين الذين أثنى الله عليهم في عدة مواضع من كتابه وسماهم المهاجرين وسيدهم ومقدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رجعوا على أعقابهم بعد الهجرة إلى البادية؟؛ فإن قلت ذلك فهذا إزراء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتنقص لهم؛ لأن المرتد أعرابياً بعد الهجرة قد ورد فيه الوعيد - كما تقدم - وهذا القول شبيه بقول الرافضة في الصحابة: إنهم ارتدوا عن دينهم إلا نفراً قليلاً منهم، وإن قلت لم يرجعوا إلى البادية أبطلت قولك ويقال - أيضاً -: هل كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة إلى المدية خروج من برية إلى أخرى؟ ولم يكن بمكة والمدينة يومئذ بنيان إنما هما صحاري ومنازل بادية؟ حتى يصح قولك فإن قلت ذلك فهذا جهل فوق كل جهل فإن الحضارة في مكة والمدينة متقدمة على البعثة بزمن طويل وهذا لا يحتاج لدليل لوضوحه وضح الشمس والقمر والليل والنهار

وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وإن اعترفت بحضارتهما وأنهما لم يزالا من قبل البعثة بزمن طويل إلى وقتنا هذا وهما بلاد حاضرة فقد نقضت بنيانك من أساسه وأبطلت ما قررته والله سبحانه - وتعالى - قد سمى مكة في كتابه القرية وأم القرى والبلد قال - تعالى -: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ، وقال - تعالى -: وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً الآية، وقال - تعالى -: وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآَنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ، يعنون بالقريتين مكة والطائف، وقال - تعالى -: وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا، وقال - تعالى -: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآَنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا، وقال - تعالى -: وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِنَا الآية، وقال - تعالى -: لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ، وقال - تعالى -: وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ، فهل في لغتك أيها الكاتب أن القرية وأم القرى والبلد يكون اسما للبادية؟ وأن سكان القرية يكونون من البدو؟ وهل في لغتك أن البدو يسمون بالمهاجرين؟ أما في لغة العرب فلا؛ فإن المهاجرة عندهم خروج البدوي من باديته إلى المدن والقرى، وفي الشرع اسم على كل من هاجر من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، وسواء كان المهاجر بدوياً من البادية أو حضرياً من الحاضرة، فالبدوي بعد هجرته إلى مدينة أو قرية وسكناه بها لا يسمى بدوياً، فالبدوي من سكن البادية، قال الأزهري: (وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن، يقال هاجر الرجل إذا فعل ذلك، وكل من أقام من البوادي بمباديهم ومحاضرهم في القيظ ولم يلحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم يتحولوا إلى أمصار المسلمين التي أحدثت في الإسلام وإن كانوا مسلمين فهم غير مهاجرين، وليس لهم في الفيء نصيب، ويسمون الأعراب).

وقال ابن الأثير: (والهجرة المهاجرة إلى القرى) انتهى.

فتأمل أيها الكاتب بطلان قولك واغترارك بجهلك والله - سبحانه - قد أثنى على المهاجرين الذين هاجروا إلى الله وإلى رسوله صلى الله عيه وسلم، وسكنوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، وجاهدوا في الله حق جهاده حتى دانت لهم البلاد وذلت لهم رقاب العباد، وقد ذكرهم الله بالذكر الجميل ووعدهم الثواب الجزيل، ومع هذا يجعلهم هذا الكاتب من البدو الجفاة"، إلى أن قال: "وأما قول الكاتب إن سكان الجزيرة العربية قوم من البادية فهي نكتة من نكته التي استخرجها من كيسه، وليس الأمر كما زعمه؛ فإن الحضارة في الجزيرة العربية متقدمة من أقدم الحضارات في الدنيا، فقد كانت عاد التي تسكن الأحقاف حاضرة عظيمة أرسل الله إليهم نبيهم هوداً عليه الصلاة والسلام فكذبوه فأهلكهم الله بالريح العقيم، ثم كانت التبابعة من سبأ في اليمن، وكذلك ديار ثمود بالحجر بين المدينة وتبوك أرسل الله إليهم نبيه صالحاً عليه الصلاة والسلام فكذبوه وعقروا الناقة فأهلكهم الله بالصيحة عن آخرهم، وكذلك مدين قرية شعيب عليه السلام، وكذلك في اليمامة قرى قديمة، ثم كانت الحضارة في بني إسماعيل ثم انتشرت في سائر الجزيرة، وأما ما يقوله بعض الناس إن أصل الناس كلهم من البدو فهو قول لا أصل له ولا مستند لقائله: فبعض الحضر أصلهم من البدو، وبعضهم أصله من الحضر، وأما تعريف الكاتب للحضر والبدو بقوله: وسكان الجزيرة قوم من البادية امتلك بعضهم الأرض فسمي حضرياً إلى آخر كلامه، فهو تعريف غير صحيح مخالف لما ذكره أهل اللغة، قال الجوهري: (الحضر خلاف البدو والحاضرة خلاف البادية وهي المدن والقرى والريف، والبادية خلاف ذلك، يقال فلان من أهل الحاضرة وفلان من أهل البادية وفلان حضري وفلان بدوي)، وقال: (والبدو البادية والنسبة إليها بدوي وفي الحديث: «من بدا جفا» أي: من نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب، والبداوة الإقامة بالبادية وهي خلاف الحضارة)، وقال ابن الأثير: (الحاضر المقيم في المدن والقرى، والبادي المقيم بالبادية) انتهى.

ويلزم على تعريف الكاتب أن من ملك أرضاً أو داراً وهو من أهل البادية أن يكون حضرياً وأن من لم يملك شيئاً من الأرض يكون بدوياً ولو كان حضرياً مقيماً بالحضارة، ويقال لهذا الكاتب نحن نطالبك بهذا التعريف ولو كان غير صحيح فنقول ماذا تقول في أهل مكة زمن البعثة هل ملكوا دور مكة؟، وماذا تقول في الأنصار هل ملكوا دور المدينة وأرضها ونخيلها؟ فإن قلت نعم فقد نقضت ما قررته من إطلاقك البداوة على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وإن قلت لم يملكوها بل كانوا بادية رحالة فهذا مباهتة في الحسيات ومكابرة في الضروريات؛ إذ من المعلوم أن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما أتى بإسماعيل وأمه إلى مكة لم يزل إسماعيل مقيماً بها وخلفه من بعده ذريته في مكة، وهم حضر لا يظعنون: يسكنون أم القرى من عهد أبيهم إسماعيل عليه السلام ثم تفرق بعضهم في بلاد نجد وفي جميع أنحاء الجزيرة العربية ما بين حاضر وباد، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن»، ولما قال له رجل أتنزل غداً بدارك بمكة؟ فقال: «وهل ترك لنا عقيلاً من رباع أو دور»، وأما الأنصار فقد نزل أوائلهم المدينة لما خرجوا من اليمن بعد خراب سد مأرب ولم يزالوا حضرة بعد ذلك.

ومثل كاتب هذا المقال في جهله حدود ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم كمثل سلف له من الأعراب جلس إلى زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوند، فقال الإعرابي: والله إن حديثك ليعجبني وإن يدك لتريبني فقال زيد: ما يريبك منها؟ إنها الشمال، فقال الإعرابي: والله ما أدري اليمين يقطعون أو الشمال؟! فقال زيد: صدق الله ورسوله: الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ".

ولقد نصح الشيخان وأجادا فأفادا.

وقد رد على وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالبداوة كثير من الأئمة والعلماء المتقدمين والمتأخرين، وهو رد على وصف قومه بذلك، الذين هو ورسالته فيهم والقرآن بلغتهم، وكذا من تحضر من البادية.

وأجود ما رأيت في التحقيق العلمي - الشامل - رسالتي الشيخين: حمود وعبد الرحمن - رحمهما الله وجزاهما خير الجزاء -.

وقد أحسنا في المبادرة بالرد؛ فرسالة الشيخ حمود حررها في: 4/5/1385هـ.

ورسالة الشيخ عبد الرحمن في: 15/5/1385هـ.

**ثالثاً:** قوله: "تقرير عقيدة البعث" كان عليه أن يقول: الإيمان بالبعث، - ويأتي مزيد بيان عنه -.

**رابعاً**: قوله: "من أبدأ أعاد ولا تعب ولا نصب" فيه نظر - أيضاً -؛ فغير التعب والنصب يتوجه إلى الله وغيره، وذلك غير سليم بالنسبة لغير الله - تعالى -؛ فيدركه التعب والنصب، أما بالنسبة لله فلا تعب ولا نصب، وذلك ما تقتضيه عظمته وربوبيته وأسماؤه وصفاته، وقد قال - عز وجل -: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ الآية، وقال: وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ.

**خامساً**: لم يسلك مسلك علماء التفسير في تفسير الآية، الذي يقتصر على أنهم أي: الكفار الذين ينكرون البعث والمعاد وهم يعترفون بخلق الله السماوات والأرض: لا يتدبرون أو يتأملون ما فيهما من آيات وأدلة علمية قاطعة على عظيم قدرته؛ فيدركون عظمة الله ويتعظون بذلك، وأنه قادر على بعثهم وإعادتهم بعد موتهم وهو سهل هين يسير عليه على الوجه الأولى والأحرى من قدرته على خلقهم:

قال ابن جرير (في تفسيره: 21/405): "يقول - تعالى ذكره -: لابتداع السموات والأرض وإنشاؤها من غير شيء أعظم أيها الناس عندكم إن كنتم مستعظمي خلق الناس وإنشائهم من غير شيء من خلق الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون: أن خلق جميع ذلك هين على الله".

وقال ابن كثير (في تفسيره: 7/152): "يقول - تعالى - منبهاً على أنه يعيد الخلائق يوم القيامة، وأن ذلك سهل عليه يسير لديه بأنه خلق السموات والأرض، وخلقهما أكبر من خلق الناس بدأة وإعادة؛ فمن قدر على ذلك فهو قادر على ما دونه بطريق الأولى والأحرى، كما قال - تعالى-: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وقال هاهنا: لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ؛ فلهذا لا يتدبرون هذه الحجة،ولايتأملونها، كما كان كثير من العرب يعترفون بأن الله خلق السموات والأرض، وينكرون المعاد، استبعاداً وكفراً وعناداً، وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا".

وقال الشوكاني (في تفسيره: فتح القدير: 6/332): "بيّن - سبحانه - عظيم قدرته، فقال: لَخَلْقُ السموات والأرض أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ الناس أي: أعظم في النفوس، وأجلّ في الصدور، لعظم أجرامهما، واستقرارهما من غير عمد، وجريان الأفلاك بالكواكب من غير سبب، فكيف ينكرون البعث، وإحياء ما هو دونهما من كل وجه كما في قوله: أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم, ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ بعظيم قدرة الله، وأنه لا يعجزه شيء".

وقال ابن سعدي (في تفسيره ص: 740): "يخبر - تعالى - بما تقرر في العقول، أن خلق السماوات والأرض - على عظمهما وسعتهما - أعظم وأكبر من خلق الناس، فإن الناس بالنسبة إلى خلق السماوات والأرض من أصغر ما يكون، فالذي خلق الأجرام العظيمة وأتقنها قادر على إعادة الناس بعد موتهم من باب أولى وأحرى, وهذا أحد الأدلة العقلية الدالة على البعث دلالة قاطعة بمجرد نظر العاقل إليها، يستدل بها استدلالاً لا يقبل الشك والشبهة بوقوع ما أخبرت به الرسل من البعث, وليس كل أحد يجعل فكره لذلك ويقبل بتدبره، ولهذا قال: وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ، ولذلك لا يعتبرون بذلك، ولا يجعلونه منهم على بال".